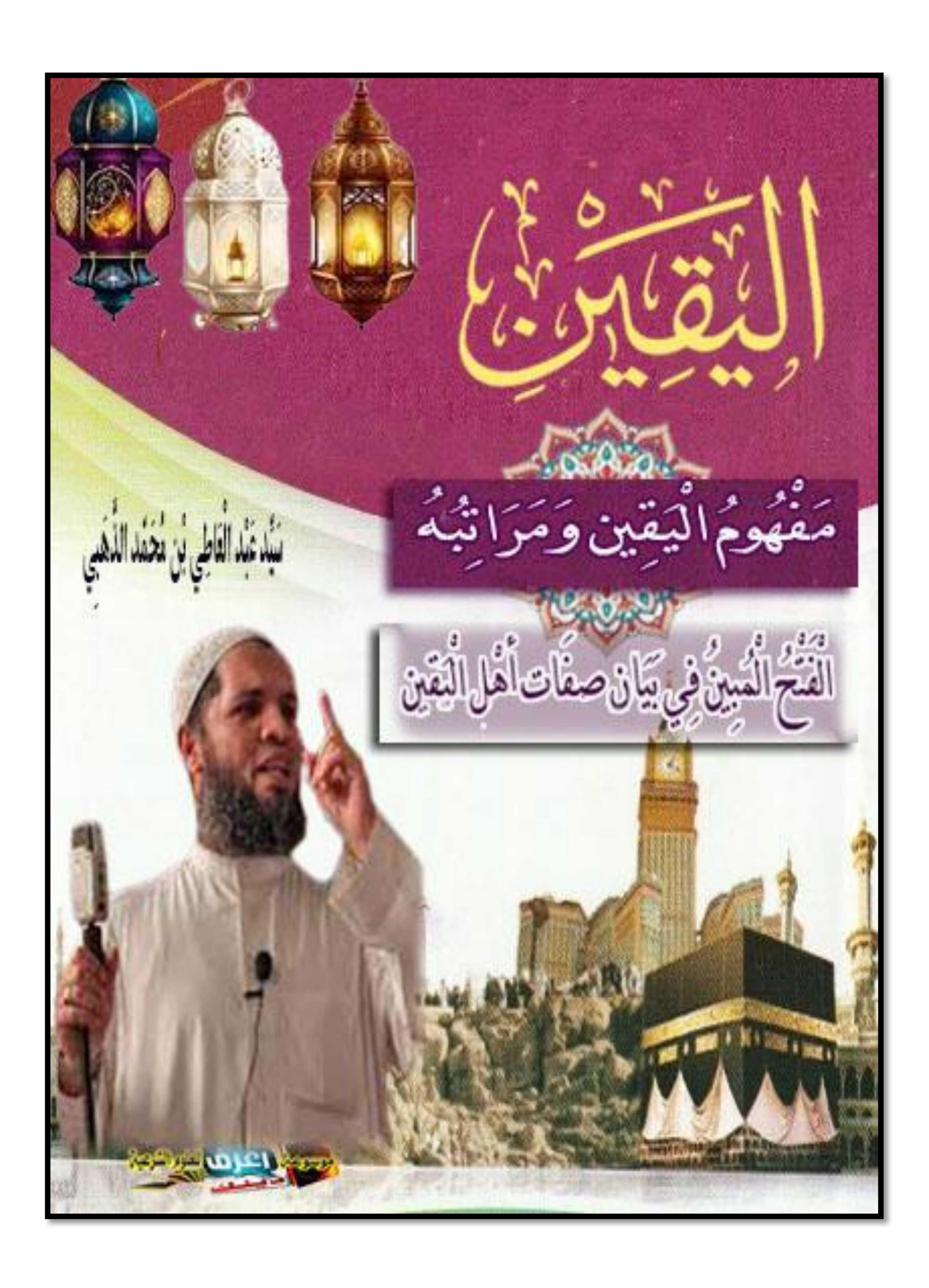


اليقين
مَفْهُومُ الْيَقِين وَمَرَاتِبُهُ
الْفَتْحُ الْمُبِينُ فِي بَيَانِ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِين
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

بسم الله الرحمن الرحيم





يسر موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية تقديم هذه الرسالة والتي أتحفنا بها فضيلة الشيخ سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي-حفظه الله-
كعادته لنفيد ونستفيد بنشرها بروابط مباشرة لأهل العلم وطلابه فجزاه عنا خير الجزاء
والرسالة هي في الأصل رسالتين منفصلتين، ولكن تتكلم في موضوع واحد من زويتين مختلفتين تحت هذا العنوان(اليقين)..و لاغني لأحدهما عن الآخر ولهذا تم جمعهما في رسالة واحدة للتيسير.
ونسأل الله تعالي القبول والإخلاص أنه ولي ذلك والقادر عليه

مع تحيات
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية



مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية







الْحَمْدُ للهِ جَلَّ وَعَلَا، ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا،

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ حَوْلَ مَفْهُومِ الْيَقِينِ وَمَرَاتِبِهِ سَائِلًا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:

• الْيَقِينُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ:

-الْيَقِينُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرُّوحِ مِنَ الْجَسَدِ،فَهُوَ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ،وَأَخَصُّ صِفَاتِ أَهْلِ التَّقْوَى وَالْإِحْسَانِ،وَبِهِ تَفَاضَلَ الْعَارِفُونَ،وَفِيهِ تَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُونَ،وَإِلَيْهِ شَمَّرَ الْعَامِلُونَ،وَهُوَ مَعَ الْمَحَبَّةِ رُكْنَانِ لِلإِيمَانِ،وَعَلَيْهِمَا يُبْنَى وَبِهِمَا قَوَامُهُ،وَهُمَا يُمِدَّانِ سَائِرَ الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ،وَعَنْهُمَا تَصْدُرُ،وَبِضَعْفِهِمَا يَكُونُ ضَعْفُ الْأَعْمَالِ،وَبِقُوَّتِهِمَا تَقْوَى الْأَعْمَالُ،وَجَمِيعُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ إِنَّمَا تُفْتَتَحُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْيَقِينِ،وَهُمَا يُثْمِرَانِ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ،وَعِلْمٍ نَافِعٍ،وَهُدىً مُسْتَقِيمٍ،وَهُوَ مَعَ الصَّبْرِ يُثْمِرُ الْإِمَامَةَ فِي الدِّينِ قَالَ تَعَالَى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}.(السّجدة:٢٤).،قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

-:{سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-يَقُولُ: بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى:{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}. (السَّجدة:٢٤)}.(انْظُرْ:مدارج السالكين :٨/١٦).وَإِلَيْكَ مَفْهُومُ الْيَقِينِ وَمَرَاتِبُهُ:



(١)مَفْهُومُ الْيَقِينِ:

•تَعْرِيفُ الْيَقِينِ لُغَةً:

-جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لابْنِ مَنْظُورٍ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:٣/١٠١٥:{الْيَقِينُ نَقِيضُ الشَّكِّ، فَهُوَ الْعِلْمُ وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ وَإِزَاحَةُ الشَّكِّ، فَكَمَا أَنَّ الْعِلْمَ نَقِيضُ الْجَهْلِ، فَكَذَلِكَ

الْيَقِينُ نَقِيضُ الشَّكِّ، يُقَالُ: عَلِمْتُهُ يَقِينًا، أيْ: عِلْمًا لَاشَكَّ فِيهِ}.فَالْيَقِينُ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ يَقِنَ وَأيْقَنَ، بِمَعْنَى عَلِمَ عِلْمًا لَاشَكَّ فِيهِ تَطْمَئِنُّ إلَيْهِ النَّفْسُ اطْمِئْنَانًا يُزِيلُ الشَّكَّ وَيَدْفَعُ للعَمَلِ بِالْمُوقَنِ بِهِ.

-وَالْعَرَبُ تُسَمِّي الْيَقِينَ ظَنًّا وَالشَّكَّ ظَنًّا؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا}.(الكهف:٥٣)؛ أيْ:فَأيْقَنُوا أنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا.

-بَلْ قَال مُجَاهِدٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -:{كُلُّ ظَنٍّ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ عِلْمٌ وَيَقِينٌ}.(انْظُرْ:تَفْسِير ابْنِ كَثِير:١/٨٨)،. وَلَكِنَّ هَذَا مُشْكِلٌ فِي جَمْعٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَإنْ قِيلَ: حَيْثُ وُجِدَ الظَّنُّ مَحْمُودًا مُثَابًا عَلَيْهِ فَهُوَ يَقِينٌ، وَحَيْثُ وُجِدَ مَذْمُومًا مُتَوَعَّدًا عَلَيْهِ بِالْعَذَابِ فَهُوَ شَكٌّ؛ لَكَانَ أوْلَى بِالصَّوَابِ.

-قَالَ ابْنُ فَارِس-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مُعْجَمِ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ: ١٠٧١:{يَقَنَ، الْيَاءُ وَالْقَافُ وَالنُّونُ: الْيَقِينُ،وَالْيَقِينُ زَوَالُ الشَّكِّ، يُقَالُ:يَقَنْتُ،وَاسْتَيْقَنْتُ،وَأيْقَنْتُ}.

-وَقَالَ الْفَيْرُوزِي آبَادِي-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْقَامُوسِ الْمُحِيطِ ص:١٦٠١:{يَقِنَ الأمْرَ، يَقنًا، وَأيْقَنَهُ، وَبِهِ، وَتَيَقَّنَهُ، وَاسْتَيْقَنَهُ، وَبِهِ؛عَلِمَهُ وَتَحَقَّقَ بِهِ،وَالْيَقِينُ إزَاحَةُ الشَّكِّ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمَوْتِ}.

يُشِيرُ إلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}. (الحِجر:٩٩).

-وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الصّحاح:١١٢/٦:{الْيَقِينُ: الْعِلْمُ وَزَوَالُ الشَّكِّ، يُقَالُ: مِنْهُ يَقَنْتُ الْأمْرَ يَقنًا وَاسْتَيْقَنْتُ، وَأيْقَنْتُ، وَتَيَقَّنْتُ، كُلُّهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، أنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ ، وَرُبَّمَا عَبَّرُوا عَنِ الظَّنِّ بِالْيَقِينِ وَبِالظَّنِّ عَنِ الْيَقِينِ}.

-وَقَالَ الرَّاغِبُرَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي الْمُفْرَدَات ص:٨٩٢:}الْيَقِينُ مِنْ صِفَةِ الْعِلْمِ فَوْقَ الْمَعْرِفَةِ وَالدِّرَايَةِ وَأخَوَاتِهَا، يُقَالُ: عِلْم يَقِين، وَلَا يُقَالُ: مَعْرِفَة يَقِين، وَهُوَ سُكُونُ الْفَهْمِ مَعَ ثَبَاتِ الْحُكْمِ}.



•تَعْرِيفُ الْيَقِينِ اصْطِلَاحًا:

-هُوَ الْيَقِينُ الْجَازِمُ بِعِلْمٍ وَطُمَأنِينَةٍ وَاسْتِقْرَارِ نَفْسٍ، بِكُلِّ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ اللهِ تَعَالَى، يَقِينًا يَدْفَعُ الْمَرْءَ إلَى الْعُبُودِيَّةِ للهِ تَعَالَى، مَعَ حِرْصٍ شَدِيدٍ عَلَى إخْلَاصِ النِّيَّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَاتِّبَاعِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

أوْ نَقُولُ: هُوَ أنْ تَتَيَقَّنَ بِكُلِّ مَا وَرَدَ مِنَ الْحَقِّ، فَيَكُون عِنْدَكَ كَالشَّاهِدِ.

-فَالْيَقِينُ هُوَ إِتْقَانُ الْعِلْمِ بِانْتِفَاءِ الشَّكِّ وَالشُّبْهَةِ عَنْهُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْجَازِمُ الَّذِي لَاشَكَّ فِيهِ، الْمُؤدِّي إِلَى اسْتِقْرَارِ الْقَلْبِ وَطمَأنِينَتِهِ، الدَّافِعِ إِلَى الْعَمَلِ.

-يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى:٣/٣٢٩:{الْيَقِينُ هُوَ طُمَأنِينَةُ الْقَلْبِ، وَاسْتِقْرَارُ الْعِلْمِ فِيهِ، وَضِدُّ الْيَقِينِ الرَّيْبُ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالاضْطِّرَابِ}.

-وَيَقُولُ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهِ ص:٤١:{الْيَقِينُ هُوَ الْعِلْمُ التَّامُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أدْنَى شَكٍّ، الْمُوجِبُ للعَمَلِ}.



(٢)مَرَاتِبُ الْيَقِينِ:

-لليَقِينِ مَرَاتِبٌ ثَلَاثٌ هِيَ:

•الْمَرْتَبَةُ الْأولَى:عِلْمُ الْيَقِينِ:

-وَهِيَ انْكِشَافُ الْمَعْلُومِ للقَلْبِ،بِحَيْثُ يُشَاهِدُهُ وَلَا يَشُكُّ فِيهِ،كَانْكِشَافِ الْمَرْئيِّ للبَصَرِ.

•الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ:عَيْنُ الْيَقِينِ:

-أيْ مُشَاهَدَةُ الْمَعْلُومِ بِالْأبْصَارِ.

•الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ:حَقُّ الْيَقِينِ:

-وَهِيَ أعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ،وَهِيَ مُبَاشَرَةُ الْمَعْلُومِ وَإِدْرَاكُهُ الْإِدْرَاك التَّامّ.

•فَالْأولَى:كَعِلْمِكَ بِأنَّ الْكُوبَ بِهِ مَاءٌ، وَالثَّانِيَةُ كَرُؤيَةِ الْمَاءِ بِبَصَرِكَ، وَالثَّالِثَةُ كَالشُّرْبِ مِنْهُ.

•وَمِثَالٌ آخَر:إيمَانُنَا الْجَازِمُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ هَذَا عِلْمُ الْيَقِينِ،فَإذَا أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ للمُتَّقِينَ،وَشَاهَدَهَا الْخَلَائِقُ،وَبُرِّزَتِ

الْجَحِيمُ للغَاوِينَ،وَرَآهَا الْخَلَائِقُ،فَذَلِكَ عَيْنُ الْيَقِينِ،فَإذَا أُدْخِلَ أهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ،وَأهْلُ النَّارِ النَّارَ،فَذَلِكَ حَقُّ الْيَقِينِ.(انْظُرْ:مَدَارِج السَّالِكِين لابنِ الْقَيِّمِ:٢/٣٧٩).

•وَقَدْ وَرَدَتْ مَرَاتِبُ الْيَقِينِ فِي سُورَةِ التَّكَاثُرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ}.(التَّكاثر:١-٨).فقَوْلُهُ:{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ}.أيْ : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أمَامَكُمْ عِلْمًا يَصِلُ إلَى الْقُلُوبِ، لَمَا ألْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، وَلَبَادَرْتُمْ إلَى الْأعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ}.أيْ: رُؤْيَةً بَصَرِيَّةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا}.(الكهف:٥٣).،وَقَوْلُهُ:{ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ}.الَّذِي تَنَعَّمْتُمْ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، هَلْ قُمْتُمْ بِشُكْرِهِ، وَأدَّيْتُمْ حَقَّ اللهِ فِيهِ، وَلَمْ تَسْتَعِينُوا بِهِ، عَلَى مَعَاصِيهِ، فَيُنَعِّمُكُمْ نَعِيمًا أعْلَى مِنْهُ وَأفْضَلُ.أمِ اغْتَرَرْتُمْ بِهِ، وَلَمْ تَقُومُوا بِشُكْرِهِ؟ بَلْ رُبَّمَا اسْتَعَنْتُمْ بِهِ عَلَى مَعَاصِي اللهِ فَيُعَاقِبُكُمْ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى:{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ

بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ}. (الأحقاف:٢٠).

•وَوَرَدَتْ مَرْتَبَةُ حَقِّ الْيَقِينِ عَلَى مَائدَةِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ}.(الواقعة:٩٥).قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا: {إِنَّ هَذَا} الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى، مِنْ جَزَاءِ الْعِبَادِ بِأعْمَالِهِمْ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، وَتَفَاصِيل ذَلِكَ { لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ } أيْ: الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَةَ، بَلْ هُوَ الْحَقُّ الثَّابِتُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ، وَقَدْ أشْهَدَ اللهُ عِبَادَهُ الْأدِلَّةَ الْقَوَاطِعَ عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى صَارَ عِنْدَ أولِي الْألْبَابِ كَأنَّهُمْ ذَائِقُونَ لَهُ مُشَاهِدُونَ لَهُ فَحَمِدُوا اللهَ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ،وَالْمِنْحَةِ الْجَسِيمَةِ}.

•وَعَلَى مَائدَةِ الْحَاقَّةِ قَالَ تَعَالَى:{وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ }.(الْحَاقَّة:٥١).،قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي تَفْسِيرِهَا:{أيْ: أعْلَى مَرَاتِبِ الْعِلْمِ، فَإنَّ أعْلَى مَرَاتِبِ الْعِلْمِ الْيَقِينُ وَهُوَ الْعِلْمُ الثَّابِتُ، الَّذِي لَا يَتَزَلْزَلُ وَلَا يَزُولُ. وَالْيَقِينُ مَرَاتِبُهُ ثَلَاثٌ، كُلُّ وَاحِدَةٍ أعْلَى مِمَّا قَبْلَهَا: أوَّلُهَا: عِلْمُ الْيَقِينِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ. ثُمَّ عَيْنُ الْيَقِينِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ الْبَصَرِ. ثُمَّ حَقُّ الْيَقِينِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُدْرَكُ بِحَاسَّةِ الذَّوْقِ وَالْمُبَاشَرَةِ. وَهَذَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، بِهَذَا الْوَصْفِ، فَإنَّ مَا فِيهِ مِنَ الْعُلُومِ الْمُؤَيَّدَةِ بِالْبَرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْحَقَائِقِ وَالْمَعَارِفِ الْإيمَانِيَّةِ، يَحْصُلُ بِهِ لِمَنْ ذَاقَهُ حَقُّ الْيَقِينِ}.

•اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا،وَزِدْنَا عِلْمًا،نَسْألُكَ عِلْمًا نَافِعًا،وَعَمَلًا صَالِحًا،وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ،وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إثْمٍ،وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ،

وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.





الْحَمْدُ للَّهِ جَلَّ وَعَلَا،ذِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتِ الْعُلَا،

وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّ الْهُدَى،وَعَلَى آلِهِ وَأصحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَبَيْنَ يَدَيْكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ-رَحِمَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ-رِسَالَةٌ مُخْتَصَرَةٌ حَوْلَ بَيَانِ صِفَاتِ أهْلِ الْيَقِينِ وَطُرُقِ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ عَنْوَنْتُ لَهَا بِهَذَا الْعُنْوَانِ{ الْفَتْحُ الْمُبِينُ فِي بَيَانِ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ } سَائِلًا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَكَ بِهَا فَأَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ:



•أَوَّلًا: صِفَاتُ أَهْلِ الْيَقِينِ:

-لأَهْلِ الْيَقِينِ صِفَاتٌ عَدِيدَةٌ أَذْكُرُ مِنْهَا:

(١) صِدْقُ تَوَكُّلِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى:

-فَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-سَيِّدُ أَهْلِ الْيَقِينِ،عِنْدَمَا كَانَ فِي الْغَارِ يَوْمَ الْهِجْرَةِ وَمَعَهُ صَاحِبُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِمَا الْأَخْطَارُ عَلَّمَ الْبَشَرِيَّةَ صِدْقَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَمَا قَالَ لِصَاحِبِهِ عِنْدَمَا قَالَ صَاحِبُهُ:قُلْتُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ:{مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!}.(البخاريُّ:٣٦٥٣).

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(٣٦٥٢)مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-مِنْ عَازِبٍ رَحْلًا بِثَلَاثَةَ عَشَرَ دِرْهَمًا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَالَ عَازِبٌ: لَا، حَتَّى تُحَدِّثَنَا: كَيْفَ صَنَعْتَ أَنْتَ وَرَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِينَ خَرَجْتُمَا مِنْ مَكَّةَ، وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ؟ قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا، أَوْ: سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَيَوْمَنَا حَتَّى أَظْهَرْنَا وَقَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ فَآوِيَ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَخْرَةٌ أَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ،ثُمَّ فَرَشْتُ لِلنَّبِيِّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِيهِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَاضْطَجَعَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

،ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْظُرُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطَّلَبِ أَحَدًا، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ:

لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، سَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ، فَقُلتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فَهَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنَ الْغُبَارِ، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ: هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْتُ: قَدْ آنَ الرَّحِيلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى. فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}.

-وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖفَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗوَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗوَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.(التّوبة:٤٠).

•وَهَذَا كَلِيمُ الرَّحْمَنِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-يُعَلِّمُنَا دَرْسًا فِي صِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى-عِنْدَمَا أَحَاطَتْ بِهِ الْأَخْطَارُ كَمَا يَحْكِي الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّاۖإِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَۖفَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةًۖوَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}.(الشُّعراء:٦١-٦٨).



(٢) كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى:

-مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِصِدْقِ يَقِينِهِمْ بِأَنَّ الرَّزَّاقَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (١٩) وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}.

(الذَّاريات:١٥-٢٣).



(٣) عَظِيمُ انْتِفَاعِهِمْ بِآيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ:

-وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ الانْتِفَاعُ بِآيَاتِ اللهِ الْكَوْنِيَّةِ

(الْمَخْلُوقَات) وَآيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةِ (الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:{وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ}.(الذَّاريات:٢٠).

-أيْ : وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ عَظِيمَةٌ وَعِبَرٌ وَعِظَاتٌ بَلِيغَةٌ ، تَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ، كَصُنُوفِ النَّبَاتِ ، وَالْحَيَوَانَاتِ ، وَالْمِهَادِ ، وَالْجِبَالِ ، وَالْقِفَارِ ، وَالْأَنْهَارِ ، وَالْبِحَارِ . وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَالْعِبَرُ لَا يَنْتَفِعُ بِهَا إلَّا الْمُوقِنُونَ بِأَنَّ الْمُسْتَحِقَّ للعِبَادَةِ إنَّمَا هُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ .



(٤) كَمَالُ التَّوْحِيدِ وَصِدْقُ الْعُبُودِيَّةِ:

-وَمِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْيَقِينِ كَمَالُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ وَصِدْقُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْحِرْصُ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الْكُتُبِ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ،قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ:{الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.(البقرة:١-٥).



(٥) نَجَاتُهُمْ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا وَهَوَانُهَا عَلَيْهِمْ:

-فَقَدْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي سُنَنِهِ بِرَقَمِ(٣٥٠٢)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-قَالَ:قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ لأَصْحَابِهِ :{اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا

، وَاجْعَلْ ثَأرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا ، وَانْصُرنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا}.

-فَقَوْلُهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{وَمِنَ الْيَقِينِ}، أَيْ: ارْزُقْنَا قُوَّةَ الْإِيمَانِ بِمَا قَدَّرْتَهُ وَكَتَبْتَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِنَا وَرَفْعِ دَرَجَاتِنَا {مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا}، أَيْ: تُسَهِّلُ بِهَذَا الْيَقِينِ عَلَيْنَا {مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا}، أَيْ: مَا يَقَعُ لَنَا مِنْ مِحَنٍ وَابْتِلَاءَاتٍ فِي الدُّنْيَا،فَالْيَقِينُ يُهَوِّنُ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَابْتِلَاءَتِهَا.



(٦) وَمِنْ صِفَاتِهِمْ رَاحَةُ النَّفْسِ وَطُمَأنِينَةُ الْقَلْبِ

فِيمَا يَفُوتُ مِنْ حُظُوظِ الدُّنْيَا ، ثِقَةً بِمَوْعُودِ اللهِ ، وَرَجَاءَ الْعِوَضِ وَالْخُلْفِ مِنْهُ سُبْحَانَهُ .



(٧) وَمِنْ صِفَاتِهِمُ الْخُشُوعُ وَالاسْتِقَامَةُ :

-قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- : {مَا أيْقَنَ عَبْدٌ بِالْجَنَّةِ حَقَّ يَقِينِهَا ، إِلَّا خَشَعَ وَوَجِلَ وَذَلَّ وَاسْتَقَامَ وَاقْتَصَرَ حَتَّى يَأتِيَهُ الْمَوْتُ}.(انْظُرْ: الْيَقِين لابْنِ أبِي الدُّنْيَا ص: ٩٧).



(٨) وَمِنْ صِفَاتِهِمْ زُهْدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَقِصَرُ أمَلِهِمْ فِيهَا :

-فَلَا تَتَعَلَّقُ نَفْسُ الْمُوقِنِ بِهَا، وَلَا يَتَشَبَّثُ بِحُطَامِهَا، وَإِنَّمَا يَكُونُ زَاهِدًا فِيهَا؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ مَوْطِنًا لَهُ، وَلأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهَا دَارُ ابْتِلَاءٍ، وَأَنَّهُ فِيهَا كَالْمُسَافِرِ يَحْتَاجُ إِلَى مِثْلِ زَادِ الرَّاكِبِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَجْتَازُ وَيَعْبُرُ إِلَى دَارِ الْمُقَامِ، فَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُشَمِّرَ إِلَيْهَا، وَأَنْ يَعْمَلَ لَهَا .



•ثَانِيًا: سَبِيلُ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ:

•يَحْتَاجُ تَحْصِيلُ الْيَقِينِ إِلَى مَقَامَيْنِ :

-الْمَقَامُ الْأَوَّلُ:

-مَقَامُ الرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ النَّافِعِ ، بِكَثْرَةِ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ فِيهِ ، وَالنَّظَرِ فِي شَوَاهِدِهِ وَدَلَائِلِهِ الصَّحِيحَةِ .



-الْمَقَامُ الثَّانِي:

-بَذْلُ الْوُسْعِ فِي فِعْلِ الْمَأْمُورِ،وَالْمُجَاهَدَةُ وَالْمُصَابَرَةُ عَلَيْهِ ، وَاجْتِنَابُ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ ، حَتَّى تَتَزَكَّى النَّفْسُ،وَتَتَخَلَّصُ مِنْ حُظُوظِهَا وَيَسْلَمَ الْقَلْبُ وَيَصْفُوَ وَيَزْدَادَ الْإِيمَانُ حَتَّى يَبْلُغَ مَرْتَبَةَ الْيَقِينِ .

-وَأَعْظَمُ أَبْوَابِ تَحْصِيلِ الْيَقِينِ : الْعِنَايَةُ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، تِلَاوَةً ، وَتَدَبُّرًا ، وَعِلْمًا ، وَعَمَلًا.

-قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّد رَشِيد رِضَا-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- :{وَاعْلَمْ أَنَّ قُوَّةَ الدِّينِ وَكَمَالَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ لَا يَحْصُلَانِ إِلَّا بِكَثْرَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَاسْتِمَاعِهِ، مَعَ التَّدَبُّرِ بِنِيَّةِ الِاهْتِدَاءِ بِهِ وَالْعَمَلِ بِأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.فَالْإِيمَانُ الْإِذْعَانِيُّ الصَّحِيحُ : يَزْدَادُ وَيَقْوَى وَيَنْمَى ، وَتَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ آثَارُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي وَالْفَسَادِ بِقَدْرِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَيَنْقُصُ وَيَضْعُفُ عَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ مَنْ تَرَكَ تَدَبُّرَهُ،وَمَا آمَنَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ إِلَّا بِسَمَاعِهِ وَفَهْمِهِ،وَلَا فَتَحُوا الْأَقْطَارَ،وَمَصَّرُوا الْأَمْصَارَ، وَاتَّسَعَ عُمْرَانُهُمْ،وَعَظُمَ سُلْطَانُهُمْ،إِلَّا بِتَأْثِيرِ هِدَايَتِهِ}.(انتهى من:تفسير المنار:٩/٤٦٣).

•اللَّهُمَّ عَلِّمْنَا مَا جَهِلْنَا،وَزِدْنَا عِلْمًا،نَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا،وَعَمَلًا صَالِحًا،وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ،وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ،وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ،

وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ،وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

تمت الرسالة ولله الحمد

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

